

## «النكبة»... ذاكرة المكان والإنسان في السينما والشعر الفلسطينيّين



ويرى الناقد إبراهيم، وهو المهوم بالسينما الفلسطينية كتابة وتاريخياً وأرشفة، أن المرحلة السينمائية الأولى وصفت بالنوربة (1968 – 1974)، وتركزت الأعمال الفنية فيها بالحديث عن الثورة، ورفض حلول التسوية، ولم يكن خلالها ثمة مجال للحديث عن «النكبة»، إنما عن قيمات اللاجئين باعتبارها قاعدة تلك الثورة.

فيما بدأت المرحلة الثانية بعد عام 1974، أي خلال فترة القبول بالحل السلمي، وخلالها بدأ الحديث عن «النكبة»، وفق مقتضيات الشرعية الدولية، كما بدأ الحديث عن الأرض المحتلة، وكان «يوم الأرض» (1976) العنوان الأبرز لحضور الداخل الفلسطيني

في «سينما الثورة الفلسطينية» التي كانت بيروت مقرها شبه التام، بحسب إبراهيم الذي يقول إن «الاستعانة بالسينمائيين الأجانب كانت سبيل هذه السينما للحصول على مواد سينمائية مُصوّرة داخل الضفة الغربية وقطاع غزّة».

ويضيف إبراهيم: «عام 1980 ولدت السينما الفلسطينية الجديدة داخل فلسطين وشكلت المرحلة الثالثة، وفيها أخذ الحديث الأقدام على ذاكرة المكان والإنسان». ومع أحداث الانتفاضة الأولى عام 1987، يلقت الناقد إبراهيم إلى أن السينما الفلسطينية ركزت في حضورها على نقل فعاليات هذا الحدث ووقائعها، وأصبحت موضوعات أطفال الحجارة، ودور المرأة، ومساهمات المخطمات والمعطلين والأسرى، والشهداء تفاصيل لزمة في أفلام كثيرة.

أما في عام 1997، ومع الذكرى الخمسين لـ«النكبة»، فبرى أن تيار «الذاكرة الشفهية» نهض بقوة في السينما الفلسطينية، وهو ما يعتبره تركيزاً على «النكبة» أولاً، وبالتالي جرى الاهتمام بحكاياتها وتفصيلها وأثارها وديالوجياتها، فاشتغلت السينما بالكيفية التي يمكن لها أن تبدي في تسجيل «الذاكرة الشفهية»، وتحويلها إلى معطى وسرد سينمائي بصري.

ويرى الناقد الفلسطيني أنه مع انتفاضة الأقصى عام 2000 بدأت مرحلة أخرى، كان من أبرز سماتها الاستشهاديين، واسئلة جدوى هذا النوع من العليات، والسؤال عن السلطة الفلسطينية ذاتها وديورها، وأمسى الحواجز والمعابر، والقصف والاحتجاج والمجازر، والحداد العازل... وهو ما جعل السينما تشغل بهذا الترف الدامي، ريثما تتعطف.

وفي هذا الإطار، تبرز مجموعة من الأفلام الحديثة التي تصمت لموضوع «النكبة»، وأبرزها فيلم المخرج إيليا سليمان «الزمن الباقي»، الذي طاف به في مهرجانات العالم الكبير، وهو ذو الإنتاج العربي الفرنسي المشترك، ونال تقديراً وإعجاباً نقدياً وحصد عدداً من الجوائز.

والفيلم يحيلنا إلى الزمن الباقي لفلسطينيّ

مشرد، لاجئ، منفي وغريب لكنه عاد إلى وطنه

ليعيش فيه ما تبقى من عمر بدأ يأفل ويغيب.

هو حالة بصرية ترمز تفاصيل إنسانية

دقيقة من خلال سيرة عائلة فلسطينية عبر

مراحل ثلاث: «النكبة»، السبعينات من القرن

الماضي، والحلقة الراهمة. ورحلة تأمل

علائقية لمشهدية الوطن التي لم تستقر أو

تتبلور بعد. فبدا الوطن هشاً لا يلبق بحلم

تارة، ووطن يعيش مازقاً وجويديا يشترك فيه

المحتل والمحتل تارة أخرى.

قالون الذي حمله الشريط الروائي جاء

ملياً بالانتافضات والمشاكل والإكسارات

التي تشي بتعب البشر وتشردهم، فظهورا

بإستراتيجهم العادية، ليسوا ملائكة وكذلك

ليسوا مناضلين بالصورة التي نرسمها لهم.

إنهم بشر بكل مميزاتهم وعيوبهم لكن ما زلنهم

الضماضف أنهم يعيشون في دولة احتلال

«تستخدم قوتها وبطشها وعنصرينها

لتحقيق أهدافها وهو ما ترك بصماته وجروحه

في روح الإنسان الفلسطيني كما جسده».

والصورة السابقة عن الوطن تخالف

صوراً متبلورة تقبع في الذاكرة عن الوطن

والإنسان والوطن، لكننا نتخفف إن تلك

الصورة لا ترتبط بالحلقة الراهمة، إنما تتطور

عميقاً منذ اللحظة التي سقطت فيها فلسطين

تحت الاحتلال. والفيلم وفق تلك الرؤية

يقدم تأملات دل على العائد من غربته المجر

عليها، تأملات باردة وبلا مشاعر تقليدية

احتقانية بهذه العودة، لا حنين ولا سخونة

في الأحاسيس لحظة الارتعاش في حضن

الوطن وحتى الأم في مجاز بصري مواز. كل

ذاك جاء بلغة بصرية وشاعرية شفيفة تارة،

وبأساليب سينمائية متنوعة تارة أخرى.

ويعبر فيلم المخرجة الفلسطينية المقيمة

في الأردن ميس دروزة «حبيبي بيستاني

عند البحر» من أفلام الموجة الأخيرة في

السينما الفلسطينية. وهو يخلط بين

الشاعري والواقعي في مقاربتة فلسطين

الحلم البحر.

وكانت المخرجة قد أصرت على عرض

فيلمها الذي طاف مهرجانات عربية وعالمية

كثيرة في فلسطين المحتلة، إذ حضرت قبل

أشهر إلى الضفة الغربية وطافت بفيلمها

في جولة عروض سينمائية داخل المدن،

وفلسطين المحتلة عام 1948.

في فيلم المخرجة دروزة نرى المخرجة

تعود وتعاين أماكن تواجد الفلسطيني الذي

يعتبر البحر الذي سرق منه حلاً بعيد المنال،

تتجول الكاميرا وتعاين فلسطين الحالية من

مخيم اليرموك في سورية إلى الضفة الغربية

فالقدس، ويفا، وعكا، وهي في تجولها هذا

تستنطق الفلسطيني وتحولات ألامه.

ينتقل الفيلم من مخيم اليرموك إلى داخل

## البنا

### ومضات

- احفظ الآخر بقلبك وعقلك، لأن به ينبض القلب ويبدع العقل.
- أنت لست غير الآخر، كما أن الآخر ليس غيرك، في كل لا ينفصم.
- ليس فئمة أنت وهو في الكينونة الواحدة. أنت وهو، لستما أكثر من أشكال لتجليات حركة الواحدة.
- أنت وهو لستما أكثر من موجتين. تعطي الواحدة الأخرى سبب وجودها.
- أيها الآخر، أنت أنا فيما مضيت وفيما ساتي.

ن ض

## المرصد

### عبير وردة الجزائرية ما زال فوّاحاً!

■ **هنادي عيسى**

يصادف غداً الأحد 17 أيار، الذكرى السنوية الثالثة لرحيل وردة الفنّ وردة الجزائرية، التي قدّمت للعالم العربي عشرات الأعمال الغنائية مع أهمّ الملحنين والشعراء المصريين، وأبرزهم بليغ حمدي الذي تزوجته، واتّحفتا بأجمل الأغاني التي لا يزال كل من يهوى الغناء يريد أن يثبّت قدراته في الأداء، لا يتأخّر عن تقديمها.

من ما لا يطرب له في يوم وليلة» ويحفظها عن ظهر قلب، أو «لولا العلامة»، أو «حكايّتي مع الزّمان» إلخ... وللمناسبة، قدّمت محطة «الجديد» حلقة خاصة من برنامج «بعدنا مع رابعة» بدت متقنة في اختيار الضيوف، وأبرزهم ابن وردة الجزائرية رياض، وزوجته يولّا جهشان، والمنتج المصري صاحب شركة «عالم الفنّ» محسن جابر، والفنانة المصرية ليلية التي كانت تربطها بوردة علاقة صداقة مثينة، والإعلاميّ جمال فياض، وغيرهم. كما قدّمت كل من كنزة مرسلّي، وصابرين النحيلي، ورجاء قصابتي، مجموعة من أعمال وردة الخالدة. وقد بدت الحلقة ممتعة على رغم أنّ ساعتين لا تكفيان لسرد مسيرة الراحلة.

لا يمكن لأيّ لبناني أن ينسى العمل الوطني الذي كرّمت وردة من خلاله لبنان، إذ..وهي التي ولدت من أمّ لبنانية. قدّمت أغنية عنوانها «لبنان يا جريح».

يُحسب لوردة الجزائرية نكاؤها الفني الذي ساعدها كي تبقى شاغلة للناس لسنوات طويلة فنّها. ففي التسعينات من القرن الماضي، عندما وجدت أنّ الزمن تغيّر، وأنّ الأغنية الطويلة لم تعد مرغوبة، بحثت عن ملحنين جدد، فوجدت بالشاب الملموح الملحن صلاح الشرنوبلي مبتعاًها، فقدّم لها أغنية «بتوتس بيك» التي قلبت المقاييس في الفنّ. ثمّ قدّم لها «حرّمت أحبك»، وغيرها من الأعمال التي جعلت مطربة في الخمسينات من عمرها، تتربّع على عرش سياق الأغاني لسنوات، وهذا ما يدلّ على أنّها فنانة نكيّة، وعلمت كيف توكب العصر، وجعلت من نجوم العالم العربي يقفون في الصف أمام باب الشرنوبلي للحصول على لحن، إذ قدّم مئات الألحان لأهم مطربي لبنان ومصر، ومنهم راغب علامة ونوال الزّغيبي وغيرهما. كم جميل أن يغيب فنّان وتبقى أعماله لتتحدّث عنها أجيال وأجيال كثيرة، تستعرّف إليها من خلال أفلامها السينمائية ومنها «المظ وعبد الحامولي» وحكايتي مع الزّمان»، وأيضاً من خلال الدراما التلفزيونية عبر مسلسل «أوراق الورد»، و«آن الأوان».

رحلت الوردة وبقي عطرها يوفح في نيف الفنّ العربي الذي يحتاج في هذا العصر إلى عشرات مثلاً لإنقاذ الغناء من الدرك الذي وصل إليه. وردة الجزائرية، إنها فعلا من الزّمن الفنّي الجميل، وعصر الأغنية العربية الأدبيّ.

## هنا وهناك

- تتخصّر الممثلة اللبنانية جوي خوري بعدما أنهت تصوير مشاهداتها في مسلسل «علاقات خاصة»، لبطولة مسلسل جديد هو «الوصيّ»، من إنتاج شركة «أونلاين بروكتشن»، ويخرجه سليم الترك، وتؤدّي جوي فيه دور صبيبة «صبيعوة».
- وتقول خوري إنها -وهي تقراً دورها- بدأت تتخيل الشكل والأسسورات، إذ ستظلّ فيه بأسلوب وشكل جديدين. وتكرت أنّ ما تقوم به في مسيرتها من تنوع في الأدوار، يخدم ظهورها، واليوم في دور «نعم» في مسلسل «الوصيّ»، ستكون غير ما كانت عليه في أعمالها السابقة.

- يشارك لبنان في فعاليات مهرجان «كان» السينمائي الدولي هذه السنة، في فئة الأفلام القصيرة عبر فيلم «موج 98»، وهو الفيلم اللبناني الثاني بعد فيلم مارون بحدادي عام 1990.

وموج 98، فيلم قصير من 15 دقيقة لمؤلفه ومخرجه إيلي داغر (29 سنة)، وعمل عليه لسنتين وهو يعيش حالياً في بلجيكا. ويقول داغر حول هذا الموضوع: «لنا فخور بعملنا، واتمنى الحصول على جائزة. قصة الفيلم تدور حول نظرتي إلى لبنان وكناني أعيش في ضاحية قريبة من المدينة، وكيف أعبّر عمّا في داخلي».

- يعدّ مشروع «أقرا روسيا» جزءاً من برنامج الدعاية والترويج للأدب الروسي الكلاسيكي وأيضاً المعاصر، وطباعة الكتب الروسية. ويبدشن هذا المشروع في معرض وارسو الدولي للكتاب، الذي افتتح في بولندا في 13 أيار الجاري.

وأقاد المكتب الصحافي للمشروع بان الجناح الروسي في المعرض ينقسم إلى الأقسام التالية: الأدب الروسي الكلاسيكي، الأدب الروسي المعاصر، كتب التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع، كتب الأطفال والكتب المدرسية، كتب الثقافة والفن، الذكرى الـ70 للنصر على النازية، وتقاليد شعوب القوقاز.

ويمكن أن يطلع المشاركون في المعرض وضوفوه على المطبوعات الصادرة عن دور الطباعة والنشر الروسية المعروفة. وسيقوم المدرس والعمل كسائق جزار. حصل على الجائزة الأولى حين كان في الـ12 من عمره. وبعد فترة قصيرة أمضاها في الجيش خلال الحرب العالمية الثانية، عاد كينغ إلى منزله ليعمل كمزارع. لكن حادث جزار دفعه إلى التخلي عن تلك الحياة وبدء أخرى في مفيوس، حيث انطلقت فعليا مسيرته الموسيقية في أواخر عام 1940. وأتاحت له فرصة المشاركة في برنامج إذاعي لمدة 10 دقائق، ومنذ ذلك الحين أطلق عليه لقب «صبيّ البلوز في شارع بيل»، وهو اللقب الذي اختصّر ليصبح: «بي بي».

- توفي الخميس الماضي، أسطورة البلوز الأميركي بي بي كينغ، في منزله في لاس فيغاس، عن عمر يناهز 89 سنة. وقال محاميه لوكالة «أسوشيتد برس» إنه لم يُعلن عن سبب وفاته بعد.
- دخل بي بي كينغ المستشفى في يوم 6 نيسان الماضي بسبب ارتفاع معدل السكرى من النوع الثاني في دمه، إذ كان يعاني من هذا المرض منذ أكثر من 20 سنة. وبعد يومين، خرج من المستشفى وعاد إلى منزله.

ولد عازف الغيتار ومغنيّ البلوز وكاتب الأغاني الأميركي، رايلي بي كينغ، في 16 أيلول عام 1925 في الميسيسيبي. وفضل من المدرسة عندما كان في الصف العاشر، وقضى معظم سنواته الأولى في جني القطن والعمل كسائق جزار. حصل على الغيتار الأول حين كان في الـ12 من عمره. وبعد فترة قصيرة أمضاها في الجيش خلال الحرب العالمية الثانية، عاد كينغ إلى منزله ليعمل كمزارع. لكن حادث جزار دفعه إلى التخلي عن تلك الحياة وبدء أخرى في مفيوس، حيث انطلقت فعليا مسيرته الموسيقية في أواخر عام 1940. وأتاحت له فرصة المشاركة في برنامج إذاعي لمدة 10 دقائق، ومنذ ذلك الحين أطلق عليه لقب «صبيّ البلوز في شارع بيل»، وهو اللقب الذي اختصّر ليصبح: «بي بي».

وعلى مدى سبعة عقود، أنتج ملك البلوز عشرات الألبومات بتسميات مختلفة، من بينها «The Thrill Is Gone»، و«3 وO'Clock Blues»، و«You Know I Love You»، و«Every Day I Have The Blues»، وغيرها.

وجاء في كتاب «أناشيد العودة» أن هارون يشكل علامة بارزة في أدب النكبة، وهو من الرواد الأوائل في هذا المضمار، وهو يعزل التيار الواقعي في الشعر العربي الفلسطيني.

وأرّخ رشيد في أشعاره مراحل تحول القضية الفلسطينية منذ أن وعيها بداية من تظاهرات الثورة الأولى عام 1936، مروراً بالنكبة والانتفاضات، وصولاً إلى الاعتداءات الحالية على هوية القدس.

وذكر كتاب «أناشيد العودة»: «بحر رشيد بشعره في رحلة مستمرة إلى اليوم، وعلى صفحة البحر الفلسطيني نسج عذابات اليتيم والقهر والتشرد بكل جوارحه، لكنه ربّان ماهر يسبح في قصائد الرقة والحنين حيث نجد النوراس البيضاء، ومفردات الأمل من المستقبل، وأناشيد الغضب والكفاح، إذ يعبر عن نبض الأجيال المؤمنة بالنصر الآتي لا مشالة».

ويمتاز شعر رشيد بحسب الكتاب بالدروماتيسية الوطنية التي تغنت بها الأجيال العربية، لما فيها من قدرة رائعة على استنهاض المشاعر والههم، ومقت للفراسة، وعشق للحرية والحياة بشرف وكرامة.

«**أبو سلمى**... وسنعود

ويعتبر أستاذ الأدب العربي الحديث عادل الأسطيا، والمحاضر في «جامعة النجاح الوطنية» في مدينة نابلس، شمال الضفة الغربية، الشاعر عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) (1909-1980) بالمثال الأفضل على الشعراء الذين كتبوا عن «النكبة»، وذلك في حال قصر تعريف أدب «النكبة»، وتحدثوا الشعر، على الفترة الواقعة ما بين 1948 و1967.

ويعتبر الأسطيا أنّ ما تلى هذه الفترة من شعر أطلقت عليه تسميات عدّة، كادب حزينان، وأدب المقاومة وأدب الثورة، وأدب الانتفاضة وأدب أوسلو... إلخ.

وتعتبر قصيدة «سعود» درّة قصائد أبي القوي الفلسطيني، وجاء في مطلعها: عائدون عائدون إننا لعائدون وأصبحت قصيدة «إننا لعائدون» التي أصبحت بمثابة النشيد القومي الفلسطيني، وجاء في مطلعها:

عائدون عائدون إننا لعائدون
عائدون للديار للسهول للجبال
تحت أعلام الفخار والجهااد والنضال
والدماء والفداء والإخاء والوفاء
إننا لعائدون.

ويُلقب ابن النكبة رشيد بـ«شاعر العودة»، لكونه من أكثر الشعراء الفلسطينيين استعمالاً لمفردات العودة، العائد، العائدون. ولم تقتصر علاقة هارون رشيد بفيروز بأغنية «سرنج يوما»، إذ غنت له أيقونة الغناء اللبنانية قصيدة «مع الغرباء» التي كتبها عن اللاجئين، وتعتبر من القصائد والأغاني المنسيّة بالمقارنة مع «سرنج يوما»، والتي يقول فيها:

أتت ليلى لوالدها وفي أحداقها ألم
وفي أحشائها نارٌ من الأثواق تضنطم
وقد غامت بعينها طيوف هزها سقم
وقد نام البهيج أسى فلا صوت ولا نغم
أتت ليلى لوالدها وقد أهوى به الهرم
وقالت وهي من لهف بها الألام تحنم
لماذا نحن يا أبتي لماذا نحن أغراب
ليس لنا بهيّا الكون أصحاب وأحباب
ليس لنا أخلاء ليس لنا أحبّاء
لماذا نحن يا أبتي لماذا نحن أغراب؟

ويرى الأسطيا أن شعر الأرض المحتلة، وأشعار محمود درويش (1941 - 2008) بالتحديد، غطت على الشعر الذي كُتِب من قبل، ولا يذكر الشعر الفلسطيني: لا بل ولا يدرّس في إلاف الجامعات والمناهج المدرسية، وفي الأخيرة تختار نماذج لشعراء كثر، ولكنّ نصا واحدا لشاعر قد لا يدرّس اسمه، فسرعان ما يُنسى.

ويشير الأسطيا إلى قضية تراجع «شعر النكبة» بفعل مجموعة من التحولات قائلا إن تغني الفلسطينيين بالشعر يكا يقتصر على أشعار محمود درويش، وهناك عدة عوامل تساهم في هذا، منها طبيعة شعره، وشخصيته، والمؤسسة الفلسطينية التي اهتمت به أكثر من اهتمامها بغيره. والدليل على ذلك، المؤسسة التي حملت اسمه ومتحفه، أما الشعراء الآخرون فقد تمزّ ذكرى وفاتهم ولا يحظون بأسمية شعرية.

✽ **كاتب وإعلامي**



هناك تعيش بأشعارنا
وما زال بين تلال الحنين
وناس الحنين مكان لنا
فيا قلب كم شردتنا الرياح
تعال سرنجح هبّا بنا.
وكان قد صدر عام 2007 للشاعر هارون رشيد ديوان شعري باللغتين العربية والإنكليزية، بعنوان «أناشيد العودة»، من ترجمة وتحضير كريمة سامي في 157 صفحة من القطع المتوسط، ويحتوي مجموعة من القصائد مثل: «مع الغرباء»، «فلسطيني»، «إلى نارحة»، «جذور»، «عبناه نجمتان»، «إننا عائدون»، «صرخة لاجئ»، و«إننا لعائدون».

ورشيد الشاعر القومي والعامل حالياً في السلك الدبلوماسي الفلسطيني في القاهرة، وهب شعره للدفاع عن وطنه منذ بداياته وحتى اللحظة، وأصبحت قصيدة «إننا لعائدون» التي أصبحت بمثابة النشيد القومي الفلسطيني، وجاء في مطلعها: عائدون عائدون إننا لعائدون
عائدون للديار للسهول للجبال
تحت أعلام الفخار والجهااد والنضال
والدماء والفداء والإخاء والوفاء
إننا لعائدون.

ويُلقب ابن النكبة رشيد بـ«شاعر العودة»، لكونه من أكثر الشعراء الفلسطينيين استعمالاً لمفردات العودة، العائد، العائدون.

ولم تقتصر علاقة هارون رشيد بفيروز بأغنية «سرنج يوما»، إذ غنت له أيقونة الغناء اللبنانية قصيدة «مع الغرباء» التي كتبها عن اللاجئين، وتعتبر من القصائد والأغاني المنسيّة بالمقارنة مع «سرنج يوما»، والتي يقول فيها:

أتت ليلى لوالدها وفي أحداقها ألم
وفي أحشائها نارٌ من الأثواق تضنطم
وقد غامت بعينها طيوف هزها سقم
وقد نام البهيج أسى فلا صوت ولا نغم
أتت ليلى لوالدها وقد أهوى به الهرم
وقالت وهي من لهف بها الألام تحنم
لماذا نحن يا أبتي لماذا نحن أغراب
ليس لنا بهيّا الكون أصحاب وأحباب
ليس لنا أخلاء ليس لنا أحبّاء
لماذا نحن يا أبتي لماذا نحن أغراب؟

ويرى الأسطيا أن شعر الأرض المحتلة، وأشعار محمود درويش (1941 - 2008) بالتحديد، غطت على الشعر الذي كُتِب من قبل، ولا يذكر الشعر الفلسطيني: لا بل ولا يدرّس في إلاف الجامعات والمناهج المدرسية، وفي الأخيرة تختار نماذج لشعراء كثر، ولكنّ نصا واحدا لشاعر قد لا يدرّس اسمه، فسرعان ما يُنسى.

ويشير الأسطيا إلى قضية تراجع «شعر النكبة» بفعل مجموعة من التحولات قائلا إن تغني الفلسطينيين بالشعر يكا يقتصر على أشعار محمود درويش، وهناك عدة عوامل تساهم في هذا، منها طبيعة شعره، وشخصيته، والمؤسسة الفلسطينية التي اهتمت به أكثر من اهتمامها بغيره. والدليل على ذلك، المؤسسة التي حملت اسمه ومتحفه، أما الشعراء الآخرون فقد تمزّ ذكرى وفاتهم ولا يحظون بأسمية شعرية.

